أحكام التجويد - الحلقة (٠٧٨ - ١١٣) - صفات الحروف – المحاضرة (١٣-٤٨) : صفات الألف والياء.
لفضيلة الدكتور أيمن سويد تاريخ : ٢٦-٠٦-٢٠٠٩م

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين وعلى آله وصحبه أجمعين، اليوم نتكلم يا اخوة، عن آخر حرفين من حروف اللغة العربية من حيث توزيع الصفات على هذين الحرفين، الحرف الأول هو حرف الألف، والألف لما نقـول الألف نقصد بها الألف في نحو (قال، ومال، ومالك)، هذه هي الألف، أما التي نراهـا فـي أول حروف الهجاء ونقول ألف، باء، تاء، فهي ليست الألف التي نتكلم عنها اليوم وإنما هـي الهمزة، ويسميها العلماء ألفاً مجازاً.

إذاً لما نقول ألف باء تاء لا تظنوا بأن هذه الألف التي في الأول هي الألف فـي نحو (قال)، في نحو (مالك)، وإنما هي الهمزة في نحو (أن، وإن، وأمور)، فتلـك الهمـزة صورتها في الخط ألف، لذلك يسمونها مجازاً الألف وليست هي الألف المنطوقة، أما الألـف المنطوقة فتأتي هنا في آخر حروف الهجاء مع الواو والياء.

تكلمنا عن الواو في الحلقة الماضية واليوم نتكلم عن الألف التي يسميها العلمـاء في حروف الهجاء (لام ألف)، أيضاً هذه شرحتها في السابق وأعيدها سريعاً فأقول: الألـف يا أخوة، انتبهوا هذا بحث دقيق الألف حرف ساكن دائماً ولا بد أن يتقدمه حرف مفتـوح، لا تتصدر الألف في كلمة، هي مفتقرة دائماً إلى حرف مفتوح يتقدم عليها، فلو طلب إنسان مـن آخر أن ينطق له ألف لا يستطيع إلا أن يضع قبلها حرفاً، فهل نقول مثلاً إذا طلـب منـا أن ننطق ألف هل نقول (ما)، أو نقول (خا)، أو نقول (عا)، ماذا نفعل؟ العلماء اختـاروا حـرف اللام فقالوا (لا)، إذا طلب منا أن ننطق ألف فنقول لا ولذلك يكتبونها في الخط (لام ألف).

لماذا اختاروا اللام؟ قالوا إن لام التعريف الساكنة، لام التعريف في نحو البيـت، المسجد هذه اللام ساكنة والعرب لا تبدأ بساكن، فهي مفتقرة إلى حرف متحرك يتقدم عليهـا فتقدمت الهمزة عليها في نحو المسجد، مفتوحة وصورتها في الخط ألف، لما افتقرت اللام إلى حرف يتقدم عليها خدمتها الهمزة على صورة ألف.

الآن الألف مفتقرة إلى حرف يتقدم عليها فأولى الحروف برد الجميل هو الـلام، لذلك يقولون (لام ألف)، وليست هذه اللام ألف في نحو كلمة لا تفعل أو لا تكتب أو الإنسان

لام ألف، هنا معناها الألف، الألف كما نعلم وكما مر معنا في مخارج الحروف تخـرج مـن جوف الفم، يعني من الفراغ الذي في الحلق والذي في الفم (مالك، ما)، هذا الفراغ الفمـوي والحلقي هو مجرى ومخرج الألف، هذا معنى أنها تخرج من الجوف.

الألف يا اخوة، حرف مجهور يعني لا يجري معه النفس، لأنه ليس من حـروف (سكت فحثه شخص)، وهي حرف رخو، لأنها قابلة للمط والتطويل صوتها قابل للمط فهـي حرف رخو، والألف حرف مرقق، لأنها مستفلة ليست من حروف (خص ضغط قظ)، ليسـت من حروف الاستعلاء فهي مستفلة ومرققة، هذا الحرف بالذات الألف مرقق إن سبقت بمرقق في نحو (مالك)، وتفخم إن سبقت بمفخم نحو (قال، والضالين).

إذاً الألف من حيث التفخيم والترقيق تبع للحرف الذي قبلها، والألف حرف منفتح لا إطباق فيها يعني لا ينحصر صوتها بين طرف اللسان وأقصاه مع قبة غار الحنـك، أمـا الصفات التي لا ضد لها فلم تتصف الألف بصفة منها، ما قلته عن صفات الألف نلاحظه على الشاشة، نلاحظ على الشاشة أن صفات (اللام، الألف)، وهي الألف يعني، أولاً مجهـورة، ثانياً رخوة، ثالثاً مستفلة، رابعاً، منفتحة، كما أنها منفتحة، أما الصفات التي لا ضد لهـا فلـم تتصف الألف بواحدة منها لا يوجد.

ننتقل إلى الحرف العربي الأخير في حروف الهجاء وهو حرف الياء، الياء حرف يخرج من وسط اللسان (أي، يا)، وكما ذكرنا في الحلقة الماضية عن الواو إن بعض العلماء يفرقون بين الواو المدية والواو غير المدية، هنا أيضاً بعض العلماء يفرقون بين الياء المديـة والياء غير المدية، فيقولون الياء المدية من الجوف يعني يتذبذب فيهما الـوتران الصـوتيان والياء غير المدية من وسط اللسان، وكما قلنا في الحلقة الماضية عن الواو ينطبق على اليـاء في حديثنا اليوم لا يمكن إخراج الياء من الوترين الصوتيين إلا باستعمال وسـط اللسـان ولا يمكن إخراجها من وسط اللسان إلا بالتذبذب الوتري والصوتي، وما قاله العلماء القول السابق مبني على التغليب، يعني في حالته المد (وجيء)، لاحظ العلماء هنا بأن الدور الأكبر هـو للوترين الصوتي، فاعتبروا أنها من الجوف لما يقولون (يا، يو)، يعني ياء متحركة، لاحظوا بأن الدور الأكبر هو لوسط اللسان، فقالوا هي من وسط اللسان وإلا فـلا بـد مـن إعمـال العضوين معاً، لا بد من تذبذب الوترين الصوتيين مع مخرج الياء الذي هو من وسط اللسان.

الياء حرف مجهور يعني لا يجري معه النفس لأنه ليس من حروف (سكت فحثه شخص)، والياء حرف رخو كما قلنا على الألف، هي رخوة قابلة للتطويل وللمط، فهي حرف رخو، كما أن الياء العربية مرققة دائماً فهي مستفلة، فلا نقول (يا)، لا بـد مـن أن نرققهـا، فنقول (ي، ي،ي)، لا تفخم العرب الياء مطلقاً والياء العربية أيضاً منفتحة يعني لا ينحصـر صوتها بين طرف اللسان وأقصاه مع قبة غار الحنك.

(صفات الألف والياء - الحلقة [٠٧٨])

إذاً هي حرف منفتح وليس مطبقاً، أما الصفات التي لا ضد لها فقد اتصفت اليـاء إن كانت ساكنة وقبلها مفتوح بصفة يسميها علماءنا صفة اللين، قال ابن الجزري رحمـه الله: واللين واو وياء سكنا وانفتح قبلهما.

لذلك الياء إن سكنت وانفتح ما قبلها في نحو (بيـت، الصـيف، غيـر، خيـر، لاضير)، كل هذه الأمثلة الياء فيها تعتبر حرفاً لينياً، إن سكنت وانفتح ما قبلها، نلاحظ علـى الشاشة من خلال اللوحة التعليمية الأخيرة، صفات الياء: الصفات ذوات الضد، الياء مجهورة، والياء رخوة، كما أنها مستفلة، وهي أيضاً منفتحة.

أما الصفات التي لا ضد لها فقد اتصفت بصفة واحدة وهي صفة اللينيـة، أنهـا حرف فيه لين إن سكنت وانفتح ما قبلها.

هذه هي صفات الياء لا بد أن نلاحظ بأن الياء كما ذكرت هو حرف رخو لا يصح أن نحصرم ونحبس صوته، بعض إخواننا لما يشدد الياء يحبس الصوت فيقول: (إياك نعبد وإياك)، يحبس الصوت ويبتره بتراً هذا لا يصح لأن الياء حرف رخو، التشديد شيء والشدة شيء آخر، التشديد هو أن يكون الحرف مضاعفاً أما الشدة هي انحباس الصوت، فالياء لا ينحبس صوتها بل تكون مضاعفة، فيها شَدة وليس فيها شدة فصوتها مستمر لا انقطاع فيه، وكم من ياء مرت معنا في سورة مريم بهذه الصفة (مرضيا، مأتيا)، كل هذه الياءات لا بد من بيانها، وصلى اللهم وبارك على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.